الباب الرابع

في ذكر مساكن العرب القديمة التي درجوا منها إلى سائر الأقطار

اعلم أن مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط المعمور، وأعدل أماكنه، وأفضل بقاعه؛ حيث الكعبة الحرام وتربة أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما حول ذلك من الأماكن.

وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء، ممتدة الأطراف، يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام، حيث البلقاء إلى أيله، ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلّى وزبيد، وما داناهما.

ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهره من ظفار وما حولها.

ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين، ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق فمن جهة الشمال الفرات، أخذًا من الكوفة على حدود العراق إلى عانه إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء والحاصل إن السائر على حدود جزيرة العرب من يسير من أطراف برية الشام من البلقاء جنوبًا إلى أيلة، ثم يسير على شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب والبحر على يمينه إلى مدين إلى الينبع إلى جدة إلى أول اليمن إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب ثم يعطف مشرقًا ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشارق اليمن إلى سواحل مهره ثم يعطف شمالًا ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهره إلى عمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة ثم يعطف إلى الغرب ويفارق بحر فارس ويسير الفرات على ميمنه إلى سلمية إلى البلقاء حيث بدا ودور هذه الجزيرة على ما ذكره السلطان عماد الدين صحاب حماه في تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يومًا تقريبًا يسير الأثقال فمن البلقاء إلى الشراه نحو ثلاثة أيام ومن الشراه إلى أيلة نحو ثلاثة أيام ومن أيله إلى الجاد وهي فرضة المدينة النبوية نحوه من عشرين يومًا ومن الجاد إلى ساحل الجحفة نحو ثلاثة أيام ومن ساحل الجحفة إلى جدة وهي فرصة مكة المشرفة ثلاثة أيام ومن جدة إلى عدن نحو من شهر ومن عدن على سواحل مهره نحو من شهر ومن مهر إلى عمان من البحرين نحو من شهر ومن عمان إلى هجر من البحرين نحو من شهر ومن هجر إلى عبّادان من العراق

نحو خمسة عشر يومًا ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشرة مرحلة ومن الكوفة إلى بالس نحو عشرين يومًا ومن بالس إلى سلمية نحو سبعة أيام ومن سلمية على مشاريق غوطة دمشق نحو أربعة أيام ومن مشاريق غوطة دمشق إلى مشاريق حوران نحو ثلاثة أيام ومن مشاريق حوران إلى البلقاء نحو ستة أيام فهذا هو الدور المحيط بجزيرة العرب.

واعلم أن الجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذ من الجزر الذي هو ضد المد ثم توسع فيه فاطلق على كل ما دار عليه الماء ولما كان هذا القطر يحيط به بحز القلز من جهة الغرب وبحر الهند من جهة الجنوب وبحر فارس من جهة الشرق والفرات من جهة الشمال -أطلق عليه جزيرة وأضيفت إلى العرب؛ لنزولهم بها ابتداء وسكناهم فيها.

قال المدايني: وجزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن؛ فتهامة هي الناحية الجنوبية عن الحجاز، ونجد هي النحاية التي بين الحجاز والعراق، والحجاز هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام سمي حجاز الحجزة بين نجد وتهامة، والعروض هي اليمامة إلى البحرين ثم في كلِّ قطر من هذه الأقطار مدن وبلاد مشهورة لا خبر جاء إلى ذكرها.